من وحي كليلة ودمنة

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر



١٢

اعداد : راجي عنايت

رسوم : بَهجت عثمان

من وحي كليلة ودمنة

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

القط المظلوم

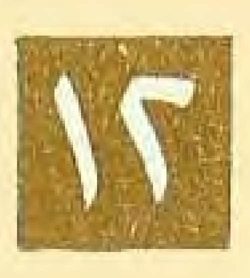
١٢

ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net

اعداد : راجي عنايت
رسوم : بهجت عثمان

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

من وحي كليلة ودمنة



القط المظلوم

اعداد: راجي عنايت
رسوم: بهجت عثمان

مسح ضوئي واعداد : احمد هاشم الزبيدي
٢٠١٦م



حقوق النشر محفوظة

الطبعة الاولى
١٩٧٨



المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر
بناية صمدي وصالحة - ص.ب: ٥٤٦٠/١١
بناية برج شهاب - تلة الخياط - ص.ب : ١٩٥١١٩
برقيا : موكيالي - بيروت


القط المظلوم



عند باب البيت الجميل الذي بناه التاجر الشاب في أطراف المدينة ، وقف يودع زوجته الحبيبة قبل أن يذهب إلى متجره . قالت الزوجة وفي صوتها رنة حزن « لا تتأخر في المتجر ، فان الملل يصيبينـــي طوال النهار ، وأنا جالسة في البيت بمفردي » . ضحك الزوج وهو يقول « وهل أترك تجارتي ، وأجلس هنا في البيت ؟! أليس هذا هو حال جميع الأزواج ؟.. يمضون الى أعمالهم ، وتتفرغ زوجاتهم لأعمال البيت ، وتنشغل بها الى حين عودة الأزواج ؟.. » . قالت الزوجة « ولكني هنا ... بعيدة عن الجارات والصديقات ، في هذا البيت المنعزل .. » .

بدأ الزوج يتحرك منصرفاً ، وهو يقول لزوجته يطمئنها « لن أتأخر في متجري ، وقبل الغروب سأكون معك ... فماذا تريدين أن أحضر لك



من السوق ؟.» قالت الزوجة « لا شيء .. فقط أريدك أن تحضر في أقرب وقت ... فأنا لا أطيق الوحدة طوال نهاري » .

مضى الزوج في طريقه ، حتى وصل إلى متجره ، وانشغل بالبيع والشراء ، والتعامل مع عشرات الزبائن الذين يفدون على متجره كل يوم . لقد كان من التجار الناجحين ، تعلم من أبيه أصول التجارة ، وعرف أن السر الحقيقي لنجاح التاجر هو الأمانة ، والكلمة الصادقة ، التي تجتذب الزبائن ، وتشعرهم بالثقة .

وبينما هو منشغل مع زبائنه ، مر به بائع العصافير ، الذي يبيع عصافير الزينة والعصافير المغردة ، وكان يحمل في يديه عدداً من الأقفاص التي تطير داخلها العصافير الملونة ، تتقافز مغردة داخل أقفاصها . استوقف التاجر الشاب بائع العصافير ... واختار قفصاً به عدد من العصافير الجميلة والبلابل المغردة ، ووضعه في مكان أمين داخل متجره .

قبل أن تغرب الشمس ، كان التاجر يمضي عائداً إلى بيته ، وإلى زوجته ، وفي يده قفص العصافير تزقزق سعيدة بجولتها في الطريق ، بعد طول بقائها داخل المتجر . وقال التاجر لنفسه « لا بد أن زوجتي ستفرح كثيراً بهذه العصافير ، التي ستسليها خلال ساعات النهار التي لا تجد ما تقوم به خلالها .. » .


عصافير الجنه

عندما فتحت الزوجة باب البيت لزوجها ، فرحت بقدومه ، وتضاعفت فرحتها بالعصافير الجميلة ، فأخذت منه القفص ، ووضعته في مكان بارز بالبيت ، حتى تراها في كل وقت . وأسرعت تضع الحبوب والماء داخل القفص ، ووقفت تراقبها وهي تأكل وتشرب . فضحك الزوج وقال « لقد استراحت العصافير الآن ، وحصلت على طعامها وشرابها .... أما حان الوقت لأحصل أنا أيضاً على طعامي وشرابي ؟.. » ، ضحكت الزوجة ، وتنبهت لانشغالها بالعصافير عن إعداد الطعام لزوجها ، وأسرعت تعد مائدة الطعام .

عندما فرغا من تناول الطعام ، جلسا يستريحان ويحتسيان أكواب الشاي ، فقال الزوج « أرجو أن تكون هديتي قد أعجبتك ؟.. » ، أجابت الزوجة « هي هدية لطيفة ، لك شكري كله يا زوجي العزيز .. » ، فقال الزوج « وعسى أن تجدي في هذه العصافير تسلية لك في وحدتك ، ولا تعودي إلى الشكوى كما حدث صباح اليوم » .

لم تجب الزوجة على سؤال زوجها ، وصمتت لبعض الوقت ، كما ظهر الحزن في عينيها . اندهش الزوج وسألها « ما الذي يحزنك الآن ؟. » ، بقيت الزوجة على صمتها وحزنها ، فظل الزوج يلح عليها ، حتى تكلمت أخيراً ، وقالت « ستكتمل سعادتي الحقة ، لو أصبح لدينا طفل أرعاه وأمضي نهاري أطعمه وأسقيه ، وألاعبه » . تنهد الزوج وقال

« لا تيأسي من رحمة الله ... وإذا كانت قد مضت سنوات على زواجنا ، لم نرزق فيها بابن أو ابنة ، فلا تجعلي هذا سببا لليأس أو الحزن .. فهذه حكمة الله .. وأحس بأنه سيعوض صبرنا الطويل بذرية صالحة من الأولاد والبنات » .



ذات يوم ، عندما عاد التاجر من عمله ، وجد زوجته في انتظاره باشتياق ، تبدو عليها السعادة ، وترتسم الفرحة على وجهها . تعجب الزوج لحالها ، وراح يسألها عما بها . فقالت بصوت تغلب عليه البهجة « لقد استمع الله إلى طلبك .. عما قريب سنرزق بطفل ، يملأ علينا حياتنا » .

ما ان سمع الزوج هذا الخبر ، حتى فاقت فرحته فرحتها ، ونسي وقاره ورزانته ، وأخذ يرقص فرحاً داخل البيت ، يقبل زوجته حيناً ، ويتحدث إلى العصافير حيناً آخر ... وبعدها هدأ قليلا ، فتوضأ وأخذ يصلي شكراً لله . وما ان انتهى من صلاته ، حتى عاد يرتدي ملابسه يستعد للخروج من البيت ، فسألته زوجته مندهشة « إلى أين

تمضي ؟. » ، قال بصوت يرتعش بالفرحة « لن أتغيب كثيراً .. ولكن لا بد أن أمضي لأنقل الخبر السعيد لأهلي وأصحابي » .

اقترب موعد الوضع ، وأخذت الزوجة تعد للطفل الذي سيرى النور مكانه بالبيت ، وتجهز له كل ما سيحتاجه من ملابس ، فقد بقيت عدة أسابيع على الحدث السعيد . أما الزوج فقد كان يعود كل يوم من متجره ، يحمل بعض الملابس الجديدة والحلى التي سيزين بها ابنه الحبيب .

وقبل موعد الولادة بعدة أيام ، جلس الزوج مع زوجته يتحدث إليها ، وقد اختفت من عينيها تلك النظرة الحزينة . قال الزوج وهو يستريح بعد أن تناول طعامه « كم أتمنى أن يجيء المولود صبيا » . فقالت الزوجة « أما أنا فلا أشترط لهذا شرطاً ، يسعدني أن يجيء المولود صبيا أم بنتا » . قال الزوج مستطرداً « أريده صبياً حتى أربيه وأعلمه ، وأدربه على أمور التجارة وأصولها ، وعندما يصبح شاباً ، أفتح له متجراً في الجانب الآخر من المدينة . بهذا تتسع تجارتي ، وتتضاعف أرباحي ... وأشيد لابني قصراً فاخراً ، لا يقل عن قصر الأمير ، وأزوجه ابنة أحد الأمراء ... » .

ضحكت الزوجة وهي تقول له « مهلا .. مهلا .. إنك بأحلامك هذه تفعل مثل ما فعل تاجر العسل من أفعال ندم عليها » . سألها الزوج

بفضول « وماذا فعل تاجر العسل ؟.. » .

قالت الزوجة وهي تبتسم :

يحكى أن تاجراً من تجار العسل ، كان عنده نحل كثير ، يجمع عسله ويضعه في جرة كبيرة يعلقها على الحائط في مسمار متين كبير .. وهكذا يضمن عدم وصول الحيّوانات أو الحشرات إليها . وكان كلما تجمع لديه بعض العسل ، يضعه في الجرة . وذات يوم ، وجد أن الجرة قد امتلأت بالعسل .

فرح التاجر كثيراً ، وعزم أن يمضي في اليوم التالي إلى سوق المدينة ، لبيع ما بالجرة من عسل . استلقى الرجل على الأرض ، ووضع عصاه إلى جانبه ، وراح يحلم ، ويحلم :

غداً أبيع العسل بدينار .. نعم ، لن أبيعه بأقل من دينار .. وماذا بعد ؟. آه .. سأشتري بالدينار من السوق عنزات صغيرات .. أتركها ترعى حول بيتي حتى تكبر وتتكاثر .. فأذهب بها إلى السوق ، وأبيعها بدنانير كثيرة .. ثم ماذا ؟.. ثم أشتري بثمنها بقراً .. أطعمه حتى يسمن ويكبر ويتكاثر فيصبح قطيعا من البقر .. أبيعه وأشتري ؟. آه ، ثيران .. نعم ثيران ضخمة قوية ، أرعاها وأسوقها ، وأسير خلفها فخورا بها .. الناس تنظر إلي وتحسدني على ما عندي من ثيران .. وأنا أمشي خلف الثيران ، كلما توقف أحدها ، ضربته هكذا بعصاي .

هنا ... مد الرجل يده يمسك بعصاه التي إلى جانبه ، ويطوح بها في الفضاء وكأنه يضرب الثور .. فضرب الجرة بعصاه ، فانكسرت ، وسال العسل عليه وعلى الأرض . وهكذا أفاق من حلمه ، ليجد أن كل شيء قد ضاع .. الثيران والبقر والعنزات ... وحتى العسل ».

ضحكت الزوجة وهي تقول لزوجها « هذه هي قصة تاجر العسل ... وهي قصة تجعلنا لا نسترسل في الأحلام .. فيضيع منا كل شيء » .



بعد أيام وضعت الزوجة غلاماً جميلا ، كان مصدر فرحة كبيرة لها ولزوجها . وكان الزوجان يمضيان الساعات الطويلة يتطلعان إلى طفلهما ، ويتأملان حركاته ولفتاته . وكان الطفل كلما استمع إلى صوت العصافير تزقزق في قفصها ، استدار لينظر إليها وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة سعيدة . وكان الزوج يقول لزوجته « أرأيت ما يفعل ابننا الجميل .. إنه يحب العصافير ويعرف صوتها ... لابد أنه سيكون أذكى الأطفال » .



مرت سنة على ولادة الطفل ، وسعادة الأم تتزايد كلما رأته يشب وَينمو ، ويتحرك في مكانه ، ثم يسير مستندا على المقاعد والأرائك ، حتى يقترب من قفص العصافير ، ثم يشير إليها يريد أن يمسك بواحد منها . فتضحك الأم وتقبله وتقول « لن أستطيع يا حبيبي أن آتي لك بعصفور منها تلعب به ... فالعصفور إذا ما خرج من قفصه سيطير ويبتعد عن بيتنا » .

رغم هذا بقي سعي الطفل الى العصافير كما هو ، وكانت الزوجة تقول لزوجها « إن الطفل يسأم ويمل بقاءه بمفرده .. يا ليتنا نجيء له بحيوان أليف صغير يلعب معه .. » ، فينزعج الزوج ، ويقول « لا .... احذري أن تدخلي حيواناً عليه .. فربما سبب له ضرراً ، وهو بعد صغير لا يجيد الدفاع عن نفسه .. » . فتقول الزوجة « ولكن ألا ترى كيف يسعى إلى قفص العصافير ، فلا ينال منها شيئاً .. ثم يجلس وحيداً حزيناً » . فيبتسم الزوج وهو يقول « غداً يرزقنا الله بطفل آخر .. فيسعد ابننا بصحبته » .

ويوماً ، عندما حضرت والدة الزوجة لزيارتها ، سألتها عن أحوال المولود ، فشكت لها الزوجة من وحدته ومِلله ، فنصحتها أمها بأن تصنع له عروسة أو دمية يتسلى بها . فرحت الزوجة بهذه الفكرة ، وعلى الفور أحضرت صندوق الحياكة ، وأخذت تجمع بقايا القماش لتصنع منها

عروسة لابنها . وعندما انتهت من صناعة العروسة ، وحشتها بالقطن ، راحت تزينها بالحلى والشعر والشرائط الملونة ، ثم قدمتها الى ابنها .

فرح الطفل بالعروسة فرحاً كبيراً ، وأخذ يضحك وهو ينقلها من يد لأخرى ... لكن ما إن مضى بعض الوقت ، حتى اكتشف الطفل أنها دمية ساكنة لا تتحرك ، ولا تتكلم ، ولا تصدر صوتاً .. فألقاها بعيداً في غضب ، وقد عاد إليه الملل .

وهكذا ، عادت الزوجة مرة ثانية تبحث لطفلها عن شيء يسليه ويبعد عنه السأم .



ذات يوم ، وبينما الزوجة منشغلة باستقبال بعض صديقاتها ، اللائي جئن يزرنها ، تسلل قط من باب البيت ، دون أن تلحظه الزوجة التي جلست مع صديقاتها .

وعندما انصرفت الصديقات ، ذهبت الزوجة إلى مكان الصبي الصغير لتطمئن عليه . وقبل أن تدخل إلى الحجرة سمعت ضحكاته السعيدة تتردد عالية متلاحقة . سعدت الأم واندفعت الى حجرته لتعرف

سر سعادته وسبب ضحكاته ، فوجدته يلاعب القط ، وعلى فمه ابتسامة عريضة .. وما ان رأى أمه مقبلة ، حتى أخذ يتصايح فرحاً ، وهو يشير إلى القط الذي يجلس الى جواره ساكناً .

اقتربت الزوجة من القط ، خائفة بعض الشيء من أن يتسبب في ضرر للصبي ، فوجدته قطاً وديعاً مسالماً نظيفاً ، له شعر ناعم جميل ، وذيل طويل يتحرك حركات بطيئة رشيقة . وعندما أبصر القط والدة الصبي قادمة ، التصق بالصبي يحتمي به ، ويعبر عن رغبته في البقاء في صحبة الصبي .

أسرعت الزوجة فوضعت في إناء لديها بعض الخبز ، وسكبت عليه قليلا من اللبن ، ثم قدمت الاناء إلى القط ، الذي أسرع يلتهم ما به ، وهو يلعق اللبن بلسانه الأحمر الصغير ، بينما الصبي يطلق ضحكاته التي لا تتوقف ، ويطوح ذراعيه في سعادة بالغة . وما ان انتهى القط من تناول طعامه ، حتى جلس ينظف شعره الجميل بلسانه ، وينظر الى الزوجة بامتنان ، شاكراً لها تلك الوجبة الشهية .

عندما حضر الزوج من متجره عصراً ، فوجىء بوجود القط إلى جوار الصبي ، فثار وغضب ، وأخذ يلوم الزوجة على تركها الحيوان مع ابنهما الصغير . حاولت الزوجة أن تحكي له عن وداعة القط ، وعن فرحة الصبي به ، وسعادته باللعب مع القط .

لم يستمع الزوج الى كلمات زوجته ، وقال « لن أطمئن على ابني مع هذا القط الغريب ، الذي لا نعرف من أين أتى .. سآخذ القط وألقيه في الطريق بعيداً عن البيت » . وما ان أخذ القط من جانب الصبي ومضى مبتعدا به عدة خطوات ، حتى صرخ الصبي باكياً ، وهو يشير إلى القط . فلم يتأثر الزوج ببكاء الطفل ، ومضى بالقط إلى خارج البيت بعد أن أغلق الباب خلفه باحكام .

حاولت الزوجة أن تلاطف الصبي وتدلله حتى يتوقف عن البكاء ، ولكن دون فائدة . وعندما عاد الزوج بعد أن تخلص من القط ، كان الصبي مستمرا في البكاء . قالت الزوجة حزينة « لماذا فعلت هذا ؟.. ألا ترى الصبي وهو يبكي بحرقة ، منذ أن حرمته من ذلك القط الوديع ؟ » . تألم الزوج لبكاء الصبي ، لكنه هز رأسه قائلا « كنت مضطراً ، أخشى أن يضر هذا القط بابننا ... وإذا كان الصبي قد تعلق بالقط ، فما ان تمضي بضع ساعات حتى ينساه ، وينشغل بشيء آخر » .



في صباح اليوم التالي ، استيقظ الزوج على بكاء الصبي الذي لا يتوقف . لقد نام الصبي من فرط التعب والبكاء ، لكنه ما ان أفاق وتذكر غياب القط ، حتى عاد إلى البكاء من جديد . أسرع الزوج يرتدي ملابسه ، ليخرج هرباً من بكاء الصبي ، ومن نظرات العتاب التي يراها في عيني زوجته .

وما انْ فتح الباب ، حتى وجد القط أيضاً خلفه ، يموء في رجاء وتعطف . تردد الزوج قليلا ، ثم حسم أمره ، فحمل القط وتوجه به إلى داخل البيت ، ووضعه إلى جوار الصبي . وما ان رأى الصبي قطه الحبيب يعود إليه ، حتى توقف عن البكاء ، ثم تحول البكاء إلى ضحكات سعيدة ، وراح يربت على ظهره ، بينما القط يلعق يديه في سرور .

قبل أن ينصرف الزوج إلى متجره ، قال لزوجته « لقد رضخت لطلبه ولرجائك .. فأرجو أن تكوني متيقظة ، فلا تتركي القط مع الصبي دون مراقبة .. حتى لا يخدشه أو يعضه ، أو يسبب له ضرراً » . قالت الزوجة بسعادة « اطمئن ... فلن أغفل عنهما لحظة واحدة » .

سادت السعادة بيت التاجر الشاب في ذلك اليوم . الصبي يضحك ويلعب ، وكلما سمع القط ضحكات الصبي ، راح يتقافز من حوله ويستلقي على ظهره ، ويعرض على الصبي كل ما يجيده من حركات . أما الزوجة ، فقد أخذت تبحث بين حاجياتها ، حتى عثرت على شريط حريري

ملون جميل ، وضعته حول رقبة القط ، فكان هذا سبباً لمزيد من السعادة والفرحة عند الصبي الصغير .

عندما عاد الزوج من متجره ، وسمع صوت الضحكات السعيدة ، تتردد في انحاء البيت ، ابتسم سعيدا هو الآخر ، واعترف لزوجته ، أنه برغم كل خوفه الذي لم يتبدد على الصبي ، قد بدأ يحب القط ، ويألف وجوده بالبيت .



ذات يوم ، بعد أن عاد الزوج من صلاة الجمعة ، وتناول طعامه مع زوجته ، قالت الزوجة « لقد عرفت اليوم أن أمي مريضة ، وأريد أن أذهب للاطمئنان عليها ، فهل نذهب جميعا لزيارتها ؟. » . فكر الزوج قليلا ، ثم قال « بل سأبقى أنا في البيت مع الصبي ألاعبه وأتحدث إليه ، فهذه هي فرصتي الوحيدة ، عصر يوم الجمعة ... ويمكنك أن تمضي الآن لزيارة والدتك ، حتى تعودي في وقت مبكر » .

أسرعت الزوجة ترتدي ملابسها ، ثم انصرفت بعد أن قبلت الصبي قبلات عديدة ، وربتت على ظهر القط عدة مرات . فجلس الزوج مع ابنه


ادخلوها
بسلام
آمنين

يضحك لضحكه ، ويراقب حركات القط الذي كان يرقص طرباً ، وهو يسمع الضحكات تتردد من حوله .

وبينما الأب منهمك في هذه الملاعبات ، سمع طرقا على الباب ، فأسرع يرى من الطارق . وجد جنديا من جنود الأمير واقفاً عند الباب ، دعاه للدخول ، غير أن الجندي قال « لا وقت لهذا ، فسيدي الأمير طلب مني سرعة احضار البضائع التي طلبها منك » ، قال الزوج محتجاً « لكن اليوم هو الجمعة ... والمتجر مغلق .. » . قال الجندي « سيدي الأمير سيسافر بعد ساعة واحدة ، ويطلب تسليمه البضائع فوراً » .

وقف الزوج في مكانه حائرا لا يدري ماذا يفعل . فهو لا يستطيع أن يرفض طلب الأمير ، أفضل زبائنه . وهو كذلك لا يدري كيف سيترك الصبي قبل أن تحضر زوجته إلى البيت . وفي آخر الأمر استأذن من الجندي حتى يرتدي ملابسه سريعاً ، وألقى نظرة على الصبي فوجده يلاعب القط سعيداً ، فانصرف مسرعاً ، حتى يعود سريعاً الى ابنه . سار في الطريق منطلقا ، يدك الارض بعصاه ، ومن خلفه الجندي ، يحاول أن يلحق به .





أخذ الصبي يلاعب القط ، والقط يداعبه ، ويقفز من حوله ....
وفجأة ، توقف القط عن اللعب ، وظهر عليه الرعب الشديد ، فتقوس ظهره ، وانتفش شعره ، وتصلبت سيقانه ، تعجب الصبي لهـذه الحركات الغريبة الجديدة التي يقوم بها القط ، وحاول أن يقترب من القط . لكن القط أصدر صوتاً أخاف الصبي .

عند مدخل الحجرة ظهر ثعبان يزحف الى الأمام ، متجهاً ناحية الصبي ، فأسرع القط يقف بين الثعبان والصبي ، فرفع الثعبان رأسه وبدأ يتحرك يميناً ويساراً ، يريد أن ينتهز اللحظة المناسبة ، حتى ينقض على القط . غير أن القط اتخذ وضع القتال ، ووضع أحد كفيه على أنفه ، وأبرز مخالب الكف الآخر يضرب بها الثعبان .

طالت المعركة بين الثعبان والقط ، وانتهت بانتصار القط ، فحاول الثعبان أن يهرب ، لكن القط لحقه وأخذ يعضه ويخدشه بمخالبه ، حتى مات الثعبان ، ودمه يسيل على الأرض . وكان الصبي طوال هذه المعركة يبكي خوفا من الأصوات والحركات التي تجري أمامه .

بينما كان القط ينظف فمه وكفه من دماء الثعبان ، سمع صوت باب البيت ، فأسرع يستنجد بالزوج ، ويموء بصوت مرتفع . نظر الزوج الى القط وقد تلوث فمه بالدماء ، ففزع وقد تصور أن القط قد اعتدى على ابنه الصغير . وبدون تفكير ، ضربه على ظهره بعصاه ، فتلوى القط في



مكانه يتألم ، بينما أسرع الزوج الى حجرة الصبي ، فوجده سليماً ، لم يصبه أي أذى ، وتطلع حوله ، فرأى الثعبان المقتول ، ففهم كل شيء .



عندما عادت الزوجة ، وجدت زوجها يجلس على الأرض باكياً وقد احتضن ابنه ، فزعت وأسرعت تسأله ، وبعد العديد من الأسئلة والأجوبة ، فهمت حقيقة ما جرى . فأسرعت الى القط تعالجه من ضربة زوجها ، وتحنو عليه . وكيف لا ؟.. وهو الذي أنقذ ابنها من شر الثعبان . وعندما اطمأنت على القط ، عادت لتعاتب زوجها ، وهي تقول « هذه هي ثمرة التعجل ، وعاقبة التسرع .. لقد كاد القط المظلوم أن يبذل حياته دفاعاً عن ابننا ، وأنت تضربه هذه الضربة قبل أن تعرف حقيقة ما جرى .. لو أنك فكرت قليلا ، لما شعرت بالندم الذي تشعر به الآن . فالعاقل هو من يسبق عقله يده » .

أخذ الزوج درساً مما حدث ، فأراد أن يعوض القط عما فعله معه ، وكان يقدم إليه الطعام ويدلله ، مما أسعد الصبي .. وعاش الجميع في سعادة وهناء .